خصوصية المنهج وأفاق التوطين

The approach between privacy and the problem of resettlement

كريم مبروكي[1] كمال بن عطية [2]
[1] جامعة الجلفة زيان عاشور، الجزائر k.mabrouki@univ-djelfa.dz
[2] جامعة الجلفة زيان عاشور، الجزائر ، benataik@gmail.com
مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر

تاريخ الاستلام: 2019/10/05 تاريخ القبول: 2019/ 11/01 تاريخ النشر: 2020/01/05

ملخص البحث

يعد المنهج من القضايا الهامة المطروحة على الساحة النقدية المعاصرة والتي شغلت بال الكثير من النقاد ، سواء عند الغرب أو عند العرب ، لأنها قضية من القضايا الهامة في أي بحث علمي مهما اختلفت مجالاته ، سواء في ذاته أو في توظيفه .

فما هو مفهومه ؟ وما هي أهم إشكاليا ته ؟ وكيف تعامل النقاد مع خصوصيته و كيفية توطينه؟

الكلمات المفتاحية :المنهج، الخصوصية، التوطين والنقد، الإشكاليات

ABSTRACT:

The curriculum is an Important issue on the contemporary monetary stage, which has preoccupied many Arab and western critics ,whet is its concept? and what are its proms? How Arab critics have dealt with its privacy and haw it has been resettled?

keywords; Approach ؛ privacy ؛localization ؛ criticism ؛ problems

مقدمة

تعتبر قضية المنهج في النقد المعاصر من القضايا المطروحة على طاولة الحوار و النقاش لما يعتريها من إشكال، و هي قضية من القضايا التي اهتم بها الكثير من الباحثين في كل وقت فهي إشكالية هامة لأنها محل دراسة و بحث دائم يشغل العقل البشري لما فيه .

ولعل هذا يجعل من المنهج إشكالية في حد ذاته و في خصوصيته وفي أبعاده المختلفة و أيضا في كيفية توطينه، وعندما نقول توطينه ،فنحن لا نقصد طبعا إهمال الجانب العربي في خصوصيته مع المنهج .

[1] المؤلف المرسل: كريم مبروكي

مجلة لغة – كلام / مختبر اللغة والتواصل / المركز الجامعي – غليزان (الجزائر)

2. إشكالية المنهج عند الغرب وعند العرب :

تعرف الدراسات المعرفية في الثقافتين الغربية و العربية اهتمام كبير بجمع و رصد المعلومات، متخذين في ذلك عدة سبل و طرق، و منتهجين عدة مناهج للوصول إلى النتائج.

1.2 إشكالية المنهج عند العرب :

إن أي بحث في مجال الدراسات الإنسانية يحتاج بالأساس إلى منهج من المناهج حتى ينير لها الدرب و يرسم لها الطريق الصحيح السليم للوصول إلى نتائج علمية صحيحة و سليمة ،غير أننا نلاحظ أحيانا تفاوت بين الباحثين أنفسهم في مجال البحث و الدراسة ، فمنهم من يهتم بالمعلومات أكثر جمعا ، وفيهم من يهتم بالمنهج أكثر، كونه هو الأهم للوصول إلى الغاية ، وهذا ما يحيلنا إلى عدة تساؤلات لعل منها : هل هناك علاقة بين طبيعة الدراسة و اختيار الباحث؟ وهل هذه الثقافة الاختيارية إن صح تسميتها قائمة في الثقافة العربية فقط أم موجودة أيضا عند الغرب ؟ و هي أسئلة و إن تفرقت إلا أنها سرعان ما تجتمع طالبة إجابة واحدة شاملة و وافية .

نبدأ في إجابتنا بطرح فرضية من قبل الدكتور سمير سعيد حجازي :" نحن نضع الإجابة في شكل فرض مؤقت فحواه أن الباحث أو الناقد في ثقافة الشرق العربي يتجه عادة بسلوكه و فكره عند إجراء بحث أو دراسة أدبية نحو التركيز على المعلومات ، و جمع و تكديس المادة الأدبية و عرض الوقائع الثقافية دون الوعي بإعطاء الأولوية للمنهج،أو الإطار العلمي الذي يمتلك الباحث أو الناقد قبل جمع و سرد المعلومات عند موضوع الدراسة ".

وما قاله الحجازي هنا يمكن القول أنه وجهة نظر من وجهات النظر الكثيرة،التي لا يمكن عدها الحقيقة كلها فهي جزء منها فقط سواء كثر أو قل، غير أننا نعترف ونقر أن في عالمنا العربي يكثر فيه الاهتمام أكثر بجانب المعلومات أكثر من الاهتمام بالمنهج وهي حقيقة تظهر في المادة الموجودة بها، كونها في الكثير من المحطات ،من أساليب التحليل والتمحيص والتدقيق، وتقل فيها المصطلحات العلمية الدقيقة في عملية العرض،إلى درجة أن القارئ يجد نفسه أمام عملية تكديس لمجموعة من المعلومات والمعارف.

والطرح العلمي المنهجي للموضوعات يتخذ له منهجا علمي، يبدأ بإعداد و جمع المصادر و المراجع ، ثم تصنيفها و استعمالها حسب الحاجة في الوقت و المكان المناسبان ، و يزيد نفس الباحث مفصلا في هذا الدرس الثقافي الغربي قائلا :"..و ثقافة الغرب الأوربي يعتمد فيها الباحث أو الناقد على وضع المادة الأدبية داخل إطار تقبله كل العقول، و من بين العناصر في هذا الإطار أسس التحليل الكيفي و الكمي أو التحليل الدلالي أو التحليل النفسي "[1]، كما أنها تعتمد أيضا على الانتقال السليم ، والمتمثل في طرح الإشكال و بعده تقديم الفرضيات و البحث فيها للوصول إلى نتائج .

وهذا الطرح وإن مشى معه الكثير ، إلا أنه يحتاج إلى دراسة وبحث، لأننا وبكل صراحة وبعيد عن كل تحيز نحس وكأن هناك تحامل على الفكر العربي،أو لنقلل من حدة اللهجة قائلين بأن هناك ضبط عشوائي في نقل المعلومات ، وفي إصدار الآراء وإطلاق الأحكام وتوزيعها هنا وهناك.

فلو رجعنا قليل إلى تراثنا وإرثنا العربي لوجدنا أن الكثير من المؤلفات و المصنفات العربية اعتمدت في نصوصها على مناهج و تحرت في كتابتها الحقيقية و لامست الدقة و الصحة ، و الأمثلة على ذلك كثيرة و عديدة و لا يمكن حصرها ، و على سبيل المثال نذكر كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني و الذي طرح فيه صاحبه معارف بنهج علمي و تفكير تجريبي، فعبد القاهر الجرجاني مثلا ينتقل من الأسهل إلى السهل في منحى تصاعدي ، فمن الشاهد البسيط إلى الشاهد الشعري إلى أن يصل الشاهد من القرآن و هكذا ، وما دلائل الإعجاز إلى مثال من الأمثلة الكبيرة لإثبات أن للعرب استعمال و طرح علمي ، و ما هذا إلا وجهة نظر لنفي الأباطيل القائلة بأحقية الغرب على

العرب في العلمية و المنهجية ، كما أنه طرح ليس من قبيل التعصب كما هو عند البعض لكل ما هو عربي حتى و إن كان على غير وجه حق ، ونعود في هذه النقطة وراء لنسأل البعض ممن ينقص للغرب دون وجه حق ، قائلين ألم يكن في الغرب تعصب للخطاب الديني والفكري الصادر عن الكنيسة دون تبرير أو تفسير علمي

غير أن الحق يقال مهما كانت الدراسات العلمية المنهجية في الشرق (العرب) تبقى قليلة، لأنك مثلا:" إذا سألت أحد هؤلاء الكتاب والباحثين ما لمنهج الذي اتبعته في نص بحثك ودراستك الأخيرة أو قبل الأخيرة[2] غير محدودة، لكان نمط من اللغو الشكلي أو الشعارات الزائفة".

وعليه نجد أنفسنا متوقفين أمام تساؤل يجعلنا في مفترق الطرق للمفاضلة والترجيح لأجل مواصلة السير ، هذا التساؤل هل نكتفي بالثقافة العربية المحلية فقط في البحث والدراسة؟ أم ننفتح على الثقافة الغربية ونأخذ منها؟ وهي تساؤلات تقودنا بدورها إلى تساؤلات أخرى، منها هل نعيش بالاختيار الأول انغلاق على الذات؟ أم نعيش ذوبان وانصهار في ثقافة أخرى؟

وفي الحقيقة ما هذه إلى تساؤلات يمكن عدها مجرد تخوفات وحسابات مسبقة قد لا يكون لها أحيانا ما يبررها، لأنه يمكن أن نتعامل مع المناهج الغربية والاستفادة منها دون الانصهار فيها، وذلك من خلال أخذها وتوطينها وفق خصوصية البيئة العربية، فتصبح متكيفة مع البيئة العربية دون الانسلاخ عن أصلنا،وهو حل أفضل بكثير من الانغلاق على الذات العربية.

وهذا الاختلاف كله لأهمية المنهج في البحث والدراسة : "إن المنهج معنى ودلالة ومفهوما، يشير إلى الكيفية التي يجب علينا سوق العقل حسب خطوات معينة في الدرس والبحث حيث يتضح الغامض،وينفتح المغلق، ويتحول الشك إلى يقين، وتضمحل الصعاب "[3] فالمنهج هو طريقة أو مجموعة من الطرق العلمية المتدرجة التي تهدف إلى حل ونتائج.

وإن" تطور المناهج وتغير أسمائها عبر التاريخ دليل على استحالة ثبات منهج معين في النقد الأدبي لمدة أطول، فإن استقر مع ما يدركه من تغيرات استجابة للإبداع الأدبي المتطور "[4] وهذا التطور في الإبداع الأدبي المستمر هو ضرورة حتى نواكب ما هو في الساحة الفكرية والثقافية.

و هذا التعدد و التنوع الذي اعتبرناه في الفترة السابقة دلالة التطور في الدراسات البحثية ، فنقول أن هذا التنوع أحيانا يوقع النقد العربي في إشكالية صعبة ،حيث يمكن القول أن : "النقاد العرب مشدودين و منبهرين في مرحلة أولى ، ثم عمدوا إلى تبين البعض منها ، كل يختار حسب استعداده و اقتناعه و مخزونه الثقافي ، و تلت مرحلة التبني مرحلة الحيرة والشك و النقد و التجريح "[5] و مهما كانت هذه الحيرة والشك مقلقة أحيانا و داعية إلى الخوف من الواقع أو حتى المستقبل ، لكن الشك كما يقال مصدر لكل يقين ، و الحيرة مبعث على البحث و الاكتشاف ، و ذكره للتجريح لدليل على ذلك، لكن يجب أن يتبع هو الأخر بالتعديل .

ومنه أصبحت "هذه الإشكالية تثير عديد القضايا وتستشرف الحلول لها، حتى بلغ درجة من الحدة والتباين ،فأصبح هو بدوره قابل للنقاش و سبب تعدد الغايات، فالجميع مهموم باقتراح تصور للمنهج الذي يكون بديلا للحيرة المعرفية والأزمة المزمنة "[6]، غير أن هذه الحيرة والشك الذي اعتبرناه فيما سبق أمر إيجابي كونه بداية للبحث عن الحل واليقين.

ويمكن أن يقود إلى نتائج وخيمة أحيانا ناتجة عند انتهاج سبيل غير صحيح ، ربما الدافع فيه الإعجاب الشديد للعرب بما أنتجه الغرب من مناهج واستعمالها موطنين لها دون دراسة أو اتخاذ حيطة "فلانفتاح على ما حققه الأخر الغربي من تطور في المناهج النقدية مشروع لكن ليس من المجدي أن يلهث وراءها و يتتبع خطاها عن كثب فيتراجع لتراجعها و سيستمر لاستمرارها "[7]

ولعل هذا الاتجاه الغير الصحيح في انتهاج أي منهج نقدي ، و جعله سبيل و طريقة للوصول إلى النتائج من غير دراية أحيانا ، والسبب بسيط هو "إحساس الناقد العربي بفقر ثقافته وتجمدها، فأغلق باب الاجتهاد،وتوفرت لديه قابلية لتلقي دواعي ثقافة الغير أو التعلق بأذيالها، ورأى فيها متنفسه لكي يغني ثقافته بروافد جديدة"[8]

وهذا الإقبال السريع نحو تبني مناهج النقد من غير دراسة جادة وثاقبة،أدخل النقد العربي في دوامة شائكة للبحث عن ماهية المنهج الحقيقي و الأنسب لكل دراسة، وهذا ربما ما يفسرها الخلط في استعمال المناهج، أو في قضية الجمع بين المناهج ، أو اختلاف النقاد حول المناهج أنفسها،أو حتى كثرة البحوث و الدراسات والملتقيات والمذكرات المعدة في إشكالية المنهج .

3. المنهج و الخصوصية الحضارية :

و نتحدث عن هذه النقطة و المتعلقة بقضية المنهج و خصوصيته الحضارية ، من خلال طرح مجموعة من الأفكار و العبارات .(المذكورة في كتاب إشكالية تأصيل الحداثة للباحث عبد الغاني بارة). محاولين التطرق إلى إقبال العرب على مناهج الغرب ، عارضين فيها مختلف الآراء مع محاولة منا لقراءة هذه الجمل و العبارات و تحليلها ، و من ثمة تقديمها وفق ما يتماشى مع بحثنا هذا .

و يمكن القول أن الانفتاح على المناهج الغربية والإقبال عليها تزامن مع الانفتاح الاقتصادي و الثقافي على الغرب ،"فبفضل البعثات إلى ثقافة الغرب في بداية السبعينات من القرن العشرين ، بدأت تظهر في الواقع الثقافي ثمار ذلك ، حيث عرفت الحياة الأدبية حركة نقل و ترجمة لبعض الاتجاهات النقدية الغربية مثل الاتجاه البنيوي الشكلي ، أو الاتجاه التفكيكي الذي يظهر في ستينيات القرن الماضي في فرنسا."[9]

و المنهج النقدي المستعمل يعد هو في حد ذاته عملية لغوية ثقافية حضارية تعكس ثقافة الباحث و ثقافة بيئته ،كما أنها تعكس درجة مكانته العلمية و درجة وعيه و تفطنه بالمناهج النقدية التي استعملها ، والملفت للانتباه هاهنا : "أن الجهود العربية التي بذلت في مضمار تحديد مضمون المصطلح الغربي نادرة و محددة ، فمنذ أن صدر عمل المرحوم الدكتور مجدي وهبة "المسمى معجم مصطلحات الأدب ، حتى يومنا و لم تقدم للقارئ دراسة أخرى بنفس المستوى الكيفي في هذا المضمار "[10] ، وحتى نضم صوتنا لصوت هذا الناقد يجب أن نزيح كلمة(نادرة) سياقها اللغوي قليلا ، فنعطيها معنى أوسع لنقول أنه كان يقصد الدراسات المنهجية الدقيقة و النوعية و التي ربما عبر عنها بكلمتي الكمي و النوعي لأن الساحة العربية تشهد العديد من الدراسات ، و تعقد الكثير من الملتقيات و المؤتمرات لفهم المناهج النقدية ، و لأجل إماطة اللثام عن إشكالية المنهج و مضامينها في بنية اللغة و الثقافة العربية ، إلا أنها تبقى قليلة كونها لم تصل إلى اللب و الجوهر .

و على هذا الأساس يتبادر إلى ذهننا ثلاث إشكاليات مستنتجة تتعلق بقضية المنهج و مضامينها في بنية اللغة و الثقافة العربية ، إلا أنها تبقى قليلة كونها لم تصل إلى اللب و الجوهر و على هذا الأساس يتبادر إلى ذهننا ثلاث إشكاليات مستنتجة تتعلق بقضية المنهج و يمكن تقسيمها كالأتي :

1.3 – إشكالية تتعلق بالمنهج في بيئته : و تتمحور هذه الإشكالية في الحمولة الثقافية والمعرفية و الفكرية والدينية الناتجة عن البيئة الأصلية (الغرب) و التي تتطلب الإحاطة الجيدة .

2.3 –إشكالية تتعلق بوعي الباحث : و الذي يتطلب مستوى من النضج المعرفي ، و التحلي بالحيطة و الحرص الشديد ، سواء في عملية النقل أو في الاستعمال في التمسك بالفكر الغربي فينسى أخذ الإيجابيات من الأخر .

3.3- إشكالية المصطلح : و المصطلح هو اللغة المفتاحية المستعملة في كل منهج ، و التي تتطلب تكافل الجهود لإزالة الغموض و اللبس و الذي قد يحيد بصاحبه عند جادة الصواب .

ويذكر الناقد سمير سعيد حجازي في كتاب آخر له مؤكدا على مكمن المشكلة في المنهج بقوله :".. فقد ترك الباحث أو الناقد في هذا المضمار المناهج التقليدية جانبا وتمسك بالمناهج الحديثة ، لكن هذا التمسك ليس معيارا كافيا بالارتقاء بمضمار الدراسات الأدبية بل المعيار كمالمحنا سابقا يمثل في مدى التفاعل الكيفي "[11]

هذا التفاعل الذي إن تحقق على هذي المستويات يمكن القول أن العرب تحصلوا على آليات حقيقية لفهم نصوصهم بمختلف أشكالها و لكن إن لم يكن كذلك فلن يصلوا إلى الهدف المرجو ، و يبقوا متخبطين هائمين من غير هدف مرجوا .

و لعل التهافت على المناهج النقدية الغربية من غير علم و دراية من شأنه أن يقود صاحبه إلى الكثير من الأخطاء ، كون المنهج المطبق من بيئة ثقافية و النص المطبق عليه من بيئة أخرى و هذه المزاوجة بين المنهج و النص تعتبر علاقة حتمية ، فرضتها ضرورة الانفتاح مع الأخر ، فالأخر يعتبر مركزا ثقافيا حضاريا يشع بالكثير من المعارف و العلوم ، كما أنه يصب في باب الحوار مع الحضارات،وهذا الحوار ليس وليد الراهن فقط، بل نجد أن للعرب و الغرب الكثير من الالتقاء و التفاعل من قديم الزمان.

4 . المواقف الغربية والعربية من توطين المناهج :

إن المتاقفة العربية و الغربية في المناهج تعد قضية أوقفت و استوقفت الكثير من النقاد غربا و عربا، و الدافع وراء ذلك هو الحمولة الثقافية لكل منهج ،هذه الحمولة التي تحمله خصوصية له و لبيئتة التي أنتجته .

1.4 المواقف الغربية من المنهج:

نحاول في هذا العنصر أن نمر مباشرة إلى ذكر الموقف الغربي من قضية المنهج ،فنذكر بعض الآراء هنا و التي قد تشير إلى بعض المواقف و تبين بعض الرؤى، و منها مساهمة سعيد التي ذكرها في كتابه (العالم و النص و الناقد) : " الموقف المعارض للنقد ما بعد النقد الجديد (أي ما بعد البنيوي) يخفي أو لعله لا يوضح بدقة أفكاره و ممارساته، والتي في نهاية المطاف تضمن و تزيد من صلابة البنية الاجتماعية و الثقافية التي أنتجت تلك الأفكار و الممارسات "[12]

و الناقد بذكره لكلمة (يخفي)إشارة منه لتلك الحمولة الثقافية و الفكرية لكل منهج فمثلا إذا كان اشتراكي، فأكيد أن المنهج سيحمل حمولة صاحب الرأس مالية ، ومما من شأنه أن يحدث فجوة بين المنهج و النص .

و نذكر أيضا في هذا الموضوع مقولة لإحدى الباحثات الغربيين، و هي مقولة شدة انتباهي لما فيها حيث " تقول الباحثة الأمريكية(سوزان ما ندلمان) التي وضعت في عام 198 كتاب بعنوان (قتله موسى)،تناولت فيه أطروحات بعض المفكرين و النقاد المؤثرين من ذوي الانتماء اليهودي ، نقول ثقافة إن لم يكن تدينا مثل فرويد و جاك دريدا و هارلود بلوم ، حيث يتكون على أطروحات بلاغية و تفسيرية اتكأ عليها قبلهم المفسرون اليهود القدماء في قراءة العهد القديم ."[13]

و نجد في القول تدينهم أمر ملاحظ في جميع كتابات هذه الشخصيات ، حتى و إن أرادوا إخفاءه كما فعل جاك داريدا، غير أن هذه المعتقدات الدينية أو الفلسفية لا يمكن إخفاءها ، لأنه مهما فعل صاحبها لإخفائها فلن يستطيع ، فسرعان ما تطفوا على السطح، سواء كان ذلك في المنهج المستعمل أو في المفردات أو في المفردات أو في الأفكار التي منها مسألة موت المؤلف أو مسألة العدمية .

و ما هذا إلى أمثلة عن كثير من الآراء الغربية .

2.4 المواقف العربية من التوطين:

تنقسم المواقف العربية في هذه القضية القائلة بالخصوصية في توطين المناهج إلى قسمين ، قسم يرى أن المناهج النقدية لا تتمتع بأي خصوصية مهما كانت ، فهي مناهج خاصة بجميع الإنسانية دون تميز، وقسم آخر يري أنها تتمتع بخصوصية في ذاتها و في بيئتها الأصل فيصعب كثير نقلها و تعديلها ولكنه ليس بالأمر المستحيل .

فالقسم الأول القائل بعدم وجود خصوصية لأي منهج يعتمدون في وجهة نظرهم على أن العلم و المعرفة هو ملك للجميع دون حكر لأحد على الأخر ،وقد نقل الباحث سعد البازعي رأي هذه الفئة مستشهدا ب :" قول جابر عصفور إننا لا نسمع بين المختصين في العلوم البحتة أو العلوم الإنسانية أو الاجتماعية ، ومنهم نقاد الأدب في كل أنحاء العالم الذي تحول إلي قرية كونية بالفعل ،ومن يتحدث عن نظرية من نظريات العلوم البحتة أو عن نظرية من نظريات العلوم الإنسانية تنتسب إلى هذا القطر أو ذاك من أقطار القرية الكونية إلا على سبيل نسبة الإنجاز النظري و بعيدا عن الخلط بين العلم و القومية أو العلم و الايدولوجيا."[14] ،وهي مقولة من بين المقولات الداعمة و المشجعة لاستعمال هذه المناهج البحثية، بغية النهوض بالكثير من المجالات ، معتبرا أن المثاقفة بين الأنا و الأخر يجب أن تسطر بفكر علمي عقلي إبداعي في فضاء مشترك لا يؤمن بحدود في ميادين كالفلسفة و الأدب و الفن و الثقافة و غيرها من المعارف و العلوم ..، غير مبالين بالنظرة التي تتحكم في العلاقة العربية الغربية ، وهذه النظرة التي تغلب عليها الأفكار الاستعمارية والعنصرية و اليهودية و الرأسمالية و الاشتراكية و الليبرالية و النازية و الفاشية و غيرها .

أما في القسم الثاني فهم مجموعة من النقاد الذين يرون أن المنهج ابن بيئته و لا يمكن فصله عنها و منم شكري عياد الذي يقول : " الحضارة ابنة نسقها الخاص الذي لا يحاول دون وحدة أساسية لكنه سيمس التغير الحضاري ، و منه العلم نفسه بسمات مميزة "[15] ، من هذا المنطلق نجد أيضا من النقاد العرب من يقف في صف شكري عياد وهي فرضيات من شأنها أن تحيل إلى أن المناهج النقدية هي وسائل علمية لا يمكن فصلها عن ارتباطها التاريخي و الثقافي و الديني،وهذا من منطلق لا يوجد علم بدون إيديولوجيا.

وهذه الثانية إذن تحيل إلى جانب سلبي يمكن الإشارة إليه وهي إعطاء الفرصة للمتخاذلين و المتقاعسين لرفض كل هذه المناهج ، و سبب الرفض كونها آتية من وراء البحر أي التقليد الأعمى لهم ، وهذا كله ليس سببا كافيا لرفض كل تلك المناهج الغربية ، ولا بأس أن نعتبره مخاض تمر به أمتنا كما قال البازغي :".. وليس من سبيل لتجاوز ذلك الالتزام إلا بمخاض قد يكون طويلا و صعبا تعيشه الأمة ككل بل تعيشه معظم الأرض إزاء الطغيان الحضاري الغربي ."[16] وهذا الإشكال المتمثل في قضية انتقال المنهج ضرورة مهما كانت يجب التعامل معه، حتى و إن تماشيا مع أشد المتشائمين منه ، فنقول لهم حتى وإن كان شر لابد منه ، و هو ما تقتضيه فكرة التعايش مع الآخر فلنأخذ منه ما يناسبنا و ما يناسب بيئتنا و نعمل على توطينها بإيجاد له و مصلحات و آليات ، وعليه فالنقاد إذن بين موقفين :

الأول : اخذ المنهج و توظيفه كما هو في أصله الغربي ومنه تقبل كل حمولاته الفكرية والدينية و الثقافية،وهذا ما قد يحيل النص العربي المطبق عليه أو النتائج المتحصل عليها إلى غموض و نوع من الشك و الاضطراب و سبب في ذلك طبعا عدم وضوح الرؤى منذ البداية .

و الثاني : نزع الحمولات الفكرية و الدينية و الثقافية من المنهج .معللين بأن المنهج وسيلة من الوسائل العلمية التي يمكن استعمالها في أي نص مهما كان غربي أو عربي ، وهي دعوة لتبيئة و توطين المناهج ، لكن هذه الأخرى تعتريها صعوبات كثيرة منها غموض المصطلحات ، وهذا ما يجعل مهمة نقل المناهج النقدية من بيئتها الأم إلى بيئة أخرى أمر صعب ومنه يفتح الباب أمام إمكانية التجريب و المحاولة و هو ليس بالمستحيل .

و هذه الأطروحة الثانية نجد من بين الداعم لها أبي ديب و بعض النقاد ،وهي نظرة تتأسس على نزعة إنسانية شمولية تتطلع إلى وحدة الفكر الإنساني بالتغلب على حواجز التباين في السياقات الحضارية "...و قد تبناها الداعون للإفادة من الفكر اليوناني قديما كما بن يونس و الفارابي و ابن رشد و أكدها دارسون محدثون "[17].

و بالتالي فهذه نظرة – أقصد الثانية – موجودة في تاريخ النقد و الفكر العربي منذ القديم ، و هي و إن لم تحقق الكثير من النتائج إلا أنها حققت البعض أو على الأقل تبقى محاولة تتلوها محاولة من شأنها أن تصل إلى الأهداف الموجودة ، و التي قد تصل إلى أن تكون للأمة العربية مناهج نتيجة مخاض فكري ثقافي أنتجتها التجربة العلمية الدقيقة .

و يجب أخذ بعين الاعتبار في قضية اخذ هذه المناهج و محاولة تبيئتها و توطينها الحذر و الحيطة من كل ترسبات ، و هو رأي نفسه أكده الدكتور محمد مندور في القرن العشرين حين قال عنها : "نريد في درس ألأدب العربي أن نكون من الفطنة بحيث لا نحاول أن نطبق عليه أراء الأوربيين و قد صاغوها لأدب غير أدبنا "[18]. غير أننا يجب أن نفهمهم و نتفطن لهم ولأفكارهم .

و لنقل أن فكرة نقل المناهج النقدية و توطينها أمر ضروري و هام ،و يجب التعامل معه بشكل مباشر في جميع المجالات الفكرية و الدينية و الثقافية فلابد أن نسلم بعالمية هذه المناهج ، أو لندعو أن تكون ملكة عالمية تغني جميع البشرية فالمثاقفة مع الآخر (الغرب) أمر لا بد منه لا يمكننا تجاهله و المناهج النقدية قضية من بين هذه القضايا في المثاقفة ، و أيضا لا يمكننا نفي التطور الذي حققه الآخر في جميع المجالات العلمية و المعرفية عامة و في مجال استعمال المناهج النقدية ، فالتمسك بالتعاليم الدينية و الأصالة العربية يجب أن لا يحيلنا على التعصب للذات إلى درجة الانغلاق و التحيز السلبي فحتى الغرب أنفسهم أخذوا من الأمة العربية الكثير من المعارف والعلوم ، حتى وإن كان هذا الأخذ الإيجابي.

و عليه يجب أن نتعامل مع المناهج النقدية من عدة جهات،وأن نتعامل معها أنها مناهج نقدية علمية كما تظهر ذلك مقولة الدكتور فاضل ثامر : " إن ما هو مهم في تقديري في التأكيد على اعتبار البنيوية منهجا نقديا، منهجا يمتلك خطواته الإجرائية الخاصة لاستشراف أفاق علمية معينة انطلاقا من أسس منهجية شاملة قابلة للتعميم كنموذج للاختبار و حتى المقايسة أحيانا."[19]

فإذا اعتبرنا المناهج النقدية مناهج علمية و قمنا بدراستها و توظيفها على هذا الأساس نكون قد جمعنا بين التمسك بالأصالة العربية ، و نكون قد جمعنا بين التمسك بالأصالة العربية ، و نكون أيضا شفينا الغليل في مواكبة كل مظاهر الحداثة ، و كان ذلك خدمة للمعرفة .

أما الجهة الثانية -حتى لا ننسى – هي الإدراك الواعي أن كل المناهج النقدية باعتبارها آتية من الآخر (الغرب) فهي تحمل جانبين ،أحدهما ظاهر و هو الجانب العلمي و الذي يعنينا في التوطين و الاستعمال، و الجانب الثاني وهو الباطني و المتمثل في الخلفيات المعرفية والدينية أو ثقافية كما يقول الدكتور عابد الجابري : " فكل منهج يصدر عن رؤية و لابد : إما صراحة و إما ضمنيا ، و الوعي بأبعاد الرؤية شرط ضروري لاستعمال المنهج استعمالا سليما مثمرا"[20]

5 . خاتمة :

و في ختام هذا العرض يمكن أن نخلص إلى جملة من النتائج والتي نذكر منها :

. المنهج آلية من الآليات المهمة في أي مجال علمي ، فهو الوسيلة لفتح الكثير من الأبواب وكسب العديد من المعارف .

. المثاقفة بين الشرق (العرب) والأخر(الغرب)ضرورة علمية فيها الكثير من الإيجابيات التي يجب أخذها ومعرفة كيفية توظيفها .

. عملية التوطين المعرفي هي وسيلة مهمة من الوسائل التي تساعد في رقي أي أمة ، غير أن هذا التوطين يحمل جانبين أحدهما إيجابي والأخر سلبي ، وعليه نختار الجانب الإيجابي ونترك الجانب السلبي

. يجب أن ندرك أن المناهج ذات حمولات فكرية وثقافية ودينية ، وهي في الوقت نفسه ذات أبعاد يجب الاحتياط لها.

. في عملية التوطين المعرفي يجب التمسك بالتراث العربي والتعاليم الدينية ، لكن دون أن ننسى وجوب مواكبة الحداثة .

. ينبغي على العرب تكثيف الجهود وتوحيد الصفوف لأجل توطين هذه المناهج التوطين الأمثل ،والذي تراعى فيه الخصوصية البيئية ،ومن هذه الجهود إنشاء المجامع اللغوية وإقامة ملتقيات ومؤتمرات علمية في ذلك ، وإسناد الأمور لذوي الاختصاص العلمي

الهوامش:

[1]الحجازي سمير سعيد – 2007 . مناهج النقد الأدبي المعاصر بين النظرية و التطبيق -القاهرة - دار الأفاق العربية– ط1 - ص 21-22

[2]حجازي سمير سعيد – المرجع السابق – ص 23

[3]. سويتري محمد – 2015 . المنهج النقدي مفهومه و أبعاده و قضاياه – إفريقيا الشرق – المغرب – الدار البيضاء –ط - ص 07

[4]المرجع نفسه – ص 06

[5] طرشونة محمد – 2008 . إشكالية المنهج في النقد الأدبي –مركز النشر الجامعي –تونس -ص 11

[6] المرجع نفسه –ص 63.

[7] المرجع نفسه . ص 17.

[8] . المرجع نفسه ص 210.

[9] حجازي سمير سعيد– 2004. إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر –دار طيبة للنشر و التوزيع – القاهرة –ص 109.

[10] المرجع نفسه . ص 193.

[11] حجازي سمير سعيد – مناهج النقد الأدبي . ص 27.

[12] البازعي سعد – 2008 . الاختلاف الثقافي و ثقافة الاختلاف –المركز الثقافي العربي –الدار البيضاء –المغرب –ط1 –ص 74.

[13] . المرجع نفسه . ص75.

[14] البازعي سعد –المرجع السابق –ص 79

[15] عياد شكري – 1993 . المذاهب الأدبية و النقدية عند العرب و الغربيين –الكويت المجلس الأعلى للثقافة و الفنون و الآداب – سلسلة عالم المعرفة – ص 140.

[16] البازعي سعد – الاختلاف الثقافي و ثقافة الاختلاف – ص 82.

[17] بارة عبد الغاني – 2005 . إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر (مقاربة حوارية في الأصول المعرفية)-الهيئة المصرية العامة للكتاب - ص136.

[18] . بارة عبد الغاني . المرجع السابق – ص 138.

[19] ثامر فاضل –1994 . اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث- المركز الثقافي العربي (بيروت) ط1. ص 237.

[20] الجابري محمد العابد – 1986. نحن و التراث - قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي – المركز الثقافي العربي – المربد . ط5 - ص 26.

21 . الحجازي سمير سعيد – مناهج النقد الأدبي المعاصر- ص 24.